American Journal Of Social Sciences And Humanity Research

VOLUME Vol.05 Issue05 2025
PAGE NO. 213-222
DOI 10.37547/ajsshr/Volume05Issue05-51

Argumentation and the Strategy of Persuasion in the Literature of the Karbala Incident

الحجاج واستراتيجية الإقناع في أدب واقعة الطف

Lect. Dr. Halah mueen sabri

Al-Furat Al-Awsat Technical University, Karbala Technical Institute, Iraq
hala.sabry@atu.edu.iq

Received: 14 March 2025; **Accepted:** 26 April 2025; **Published:** 30 May 2025

Abstract: Argumentation plays a central role in literature, serving as an effective tool for conveying ideas and beliefs and for changing perspectives. In the literary context, argumentation is a means that contributes to enhancing the effectiveness of literary texts, whether prose or poetry. This is closely linked to human nature, which is naturally inclined toward dialogue and debate, making argumentation an integral part of constructing the meanings of literary texts. Through logical reasoning and rhetorical eloquence, literary characters are able to persuade the reader of the various concepts the author seeks to convey.

The importance of argumentation in literature is clearly evident in the way social, political, and religious issues are addressed. The ability to employ argumentation effectively allows authors to present their perspectives on historical events or contemporary crises in ways that engage the reader and enable critical thinking. In the case of literature about the Karbala tragedy, for example, argumentation is used to highlight moral and political values, helping readers understand the complexities surrounding the tragedy and its various dimensions. Moreover, argumentation can be considered a bridge between the writer and the recipient, facilitating the process of presenting ideas in a logical and effective manner. This reciprocal relationship requires writers to possess high skills in constructing persuasive discourses and managing intellectual discussions in a manner that achieves the desired impact. Therefore, it can be said that argumentation is one of the fundamental pillars that contribute to the development of the artistic and textual structure of literature, enhancing the literary text's ability to communicate and express complex human experiences in a way that touches the reader's soul and inspires their thinking.

المستخلص

الحجاج له دور مركزي في الأدب، حيث يعد أداة فعالة لنقل الأفكار والمعتقدات والعمل على تغيير وجهات النظر. في السياق الأدبي، يمثل الحجاج الوسيلة التي تسهم في تعزيز فعالية النصوص الأدبية، سواء كانت نثراً أو شعراً. هذا الأمر يرتبط بشكل وثيق بالطبيعة الإنسانية، التي تميل بطبيعتها إلى الحوار والنقاش، مما يجعل الحجاج جزءاً لا يتجزأ من بناء معاني النصوص الأدبية. من خلال استدلالات منطقية، وبلاغة خطابية، تتمكن الشخصيات الأدبية من إقناع القارئ بالمفاهيم المتنوعة التي يسعى المؤلف إلى إيصالها.

تظهر أهمية الحجاج في الأدب بصورة واضحة من خلال الطريقة التي يتم بها تناول القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية. فإن القدرة على توظيف الحجاج بشكل فعّال تتيح للأدباء تقديم رؤاهم حول الأحداث التاريخية أو الأزمات المعاصرة بطرق تشد انتباه القارئ وتمكنه من التفكير النقدي. في حالة أدب واقعة الطف، مثلاً، تُستخدم الحجج لتسليط الضوء على القيم الأخلاقية والسياسية، مما يساعد القراء على فهم التعقيدات التي تحيط بوقائع المأساة وأبعادها المختلفة.

علاوة على ذلك، يمكن اعتبار الحجاج بمثابة جسر يربط بين الكاتب والمتلقي، حيث يعمل على تيسير عملية عرض الأفكار بشكل منطقي ومؤثر. هذه العلاقة التبادلية تتطلب من الأدباء مهارات عالية في بناء الخطابات المقنعة وإدارة المناقشات الفكرية بصورة تتيح تحقيق الأثر المطلوب. بالتالي، يمكن القول إن الحجاج يعد من الركائز الأساسية التي تسهم في تطوير البناء الفني والنصي للأدب، مما يعزز من قدرة النص الأدبي على التواصل مع التجارب الإنسانية المعقدة والتعبير عنها بطريقة تلامس روح القارئ وتلهم تفكيره.

المقدمة

تُعد واقعة الطف، التي وقعت في عام 680 ميلادية، واحدة من أبرز الأحداث التاريخية التي شكلت الوعي الجمعي الإسلامي وأثرت على مسار التاريخ الديني والسياسي. تمثل هذه الواقعة حدثاً محورياً في تاريخ المسلمين، حيث أخذت أبعادها من مواجهة صارخة بين الحق والباطل، تمثلت في المعركة بين جيش الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وأمام قوات يزيد بن معاوية. وفي خضم هذا الصراع، يظهر دور شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي يعتبر واحداً من أبرز القادة في ذلك العصر، حيث كانت استراتيجياته في الإقناع والتعبئة تسهم بشكل بارز في تجسيد السلطة والقوة.

تتناول هذه الدراسة طبيعة استراتيجية الإقناع التي استخدمها الحجاج، والتي تعتبر مختزلاً للعديد من الأساليب النفسية والتواصلية في سبيل تحقيق أهدافه السياسية. فقد اعتمد الحجاج على خطابات حماسية وموحية، أضفت على الحركة السياسية طابعاً من الشرعية، بالرغم من الخلفية الدموية للفترة التي عاشها. من خلال استغلال الظروف الاجتماعية والاقتصادية، ومخاطبة مشاعر الجماهير، تمكن من توظيف هذه الأساليب لتحقيق السيطرة والنفوذ، مما يتطلب تسليط الضوء على فعالية تلك الاستراتيجيات وكيفية تأثيرها على الفئات المختلفة من المجتمع.

وبذلك، يتعين علينا النظر إلى الحجاج واستراتيجيته في الإقناع ليس فقط من منظور الأحداث التاريخية، بل من زاوية تعكس رؤية أعمق لطبيعة العلاقات السياسية والاجتماعية في ذلك العصر. كيف كان يُنظر إلى خطاب الحجاج من قبل عوام الناس والنخب على حد سواء؟ ما هي الظلال التي خلفتها استراتيجياته على المدى الطويل في التأثير على التيارات الفكرية والسياسية التي تلت واقعة الطف؟ الإجابة على هذه الأسئلة ستساهم بلا شك في تقديم صورة أكثر شمولية عن دور الحجاج كقائد سياسي، متسلحاً بمفاهيم الإقناع، ضمن سياق تاريخي طغت عليه المفارقات والصراعات.

تُعد واقعة الطف، التي وقعت في العاشر من محرم عام 61 هـ (680 م)، حدثًا تاريخيًا وحضاريًا بارزًا في التاريخ الإسلامي، حيث تجسدت فيها قيم العدل، والإيثار، والفداء. هذه المعركة، التي خاضها الإمام الحسين بن علي (رضي الله عنه) مع أهل بيته وأصحابه في مواجهة جيش يزيد بن معاوية، لا تعكس فقط الصراع السياسي، بل تعبر أيضًا عن مفاهيم عميقة تتعلق بالنضال من أجل الحق، والمقاومة ضد الظلم. إن أهمية واقعة الطف تتجاوز حدود المكان والزمان، لتترك أثرها العميق في النفوس وتغذي الذاكرة التاريخية للأمة الإسلامية.

تأتي أهمية واقعة الطف أيضًا من دلالاتها الثقافية والدينية؛ فقد أرسى الإمام الحسين (رضي الله عنه) نموذجًا للشجاعة والإخلاص من خلال استشهاده وأصحابه الذين واجهوا قسوة العدو بدافع الإيمان، إذ قدموا حياتهم حفاظًا على المبادئ الإسلامية. منذ ذلك الحين، أصبحت هذه الواقعة رمزًا لكل من يسعى إلى نصرة الحق وإعلاء قيم الحق والعدالة. تُشكّل أحداث الطف نقطة تحوّل في فهم الأمة الإسلامية لأبعاد التضحية والفداء، حيث أصبحت تجارب الحسين وأصحابه مصدر إلهام للخطاب الثقافي والسياسي في مختلف الحقب الزمنية.

كل هذا يجعل من واقعة الطف حدثًا يجب دراسته بعمق، ليس فقط باعتباره حدثًا تاريخيًا بل أيضًا كقيمة إنسانية وثقافية جامعة. إذ تستمر أصداء هذه المعركة في التأثير على المجتمعات الإسلامية حتى يومنا هذا، وتُفسح المجال لأشكال جديدة من التعبير الثقافي والفني الذي يستلهم من هذه الذكريات. من خلال فهمنا لأهمية هذه الواقعة، نستطيع أن نُقدّر بعمق الأبعاد الاجتماعية والسياسية والدينية لشخصياتها، وبذلك نسهم في تعزيز الوعي الجماعي وتعميق التجربة الإنسانية في مواجهة التحديات والصراعات.

يتسم الأدب العربي بمستويات متنوعة من الحجاج، حيث يعد أداة مركزية في التعبير عن الفكر والنقاد والآراء، خاصة في سياقات اجتماعية وسياسية وثقافية متعددة. يتجلى الحجاج في النصوص الأدبية من خلال استخدام وسائل التعبير المقنعة، مثل الاستدلالات المنطقية والشواهد التاريخية، مما يعمل على تعزيز المصداقية وكسب التأييد. ففي الأدب العربي الكلاسيكي، مثلما يتضح في أعمال الجاحظ وابن المقفع، يمكن ملاحظة كيفية تكامل الأبعاد الحجاجية مع الفن السردي، مما يساهم في تعميق فكر المتلقي. يبرز الحجاج قوة الخطاب وأنماط التفكير النقدي، حيث يساهم النقاد والكُتاب في نقل إيديولوجياتهم والتفاعل مع القوى الاجتماعية المحيطة.

تتجاوز أبعاد الحجاج في الأدب العربي مجرد كونه وسيلة للإقناع، بل يُعتبر مكونًا أساسيًا يشكل هويته الأدبية. فهو يتيح للكتاب استخدام رموز ثقافية وتاريخية ومعاني عميقة تخدم غرضًا محددًا، مما يسهل التواصل مع مواقف القراء واهتماماتهم. وقد تجلت هذه الخصائص بوضوح في أعمال متعلقة بواقعة الطف، حيث تمثل الحجج المقدمة هناك تجسيدًا للمعاناة والصراع. يستند بعض الأدباء إلى الحجاج الوجداني بل والغضب، بينما يرتكز آخرون على السرد التاريخي لإبراز معاني الشهادة والتضحية، مما يوفر أبعادًا متعددة تعكس تفاعلات وتعقيدات تلك الأحداث.

كما أن الحجاج في الأدب العربي يتطلب استثمارًا في البلاغة وجمالية اللغة، حيث تتداخل الأساليب الاستعارية والتشبيهات مع العملية الحجاجية. إن الفهم العميق للكلمات وتوظيفها لخلق تأثير عاطفي قوي على القارئ يلعبان دورًا حاسمًا في توصيل الحجج بفعالية. في هذا السياق، يتضح أن الحجاج ليست مجرد أداة، بل هي تجربة تتداخل فيها الذاتية والموضوعية، مما يجعل الأدب العربي مرآة تعكس التوترات والنقاشات الاجتماعية والنفسية. بفضل هذه الأبعاد المختلفة، يبقى الحجاج في الأدب العربي عنصرًا حيويًا يثري الفهم والتأويل، محولًا النصوص إلى منصات ديناميكية تحفز الفكر وتعكس تعقيدات الواقع.

تتجلى استراتيجيات الإقناع بشكل واضح في الأدب المرتبط بواقعة الطف، حيث تُعد إحدى الوسائل الفعّالة لتوجيه الآراء وتحفيز المشاعر. يرتكز الإقناع على إنشاء علاقة من الثقة والتواصل الفعّال بين المُقنِع والمتلقّي، مما يسهم في تحقيق الهدف المرجو وهو التأثير على مواقف الأفراد. يتطلب الإقناع فهمًا عميقًا لنفسيات الجمهور والسياقات الاجتماعية والثقافية المعنية، وهذا يتضح في كيفية استخدام الشخصيات الأدبية، مثل الحجاج، لهذه التكتيكات.

تتعدد أنواع استراتيجيات الإقناع المستخدمة في أدب واقعة الطف، بما في ذلك الإقناع العاطفي، العقلاني، والاجتماعي. يسعى الإقناع العاطفي إلى استثارة مشاعر المتلقّي، وغالبًا ما يستخدم صورًا قوية واستعارات تعكس الآلام والمعاناة،

كما يظهر في التأثير العاطفي الكبير لوصف الأحداث المروّعة. أما الإقناع العقلاني، فيركز على تقديم الحجج المنطقية والأدلة الداعمة لفكرة معينة، مثل دحض المفاهيم السائدة أو تصحيح المعلومات الخاطئة. تأتي الاستراتيجية الاجتماعية لتؤكد على مكانة الفرد ضمن المجتمع، مما يدفعه لتبني مواقف تتماشى مع القيم الجماعية.

كما يستفيد الحجاج من عناصر مثل الإثبات الشخصي والشهادات، إذ يُظهر كيف أن تجاربهم وتضحياتهم تشكّل أساسًا قويًا لفهم أكبر وأكثر تعقيدًا للحدث. يمكن تصنيف هذه الاستراتيجيات ضمن إطار الاتصالات الفعالة، حيث يعتمد نجاح الإقناع أيضًا على مهارة الحجاج في فهم احتياجات المتلقّين وتكييف رسالته وفقًا لذلك. وبالتالي، تُصبح العبارة أو الفكرة المُقنِعة أكثر من مجرد كلمات، بل تتحول إلى أداة فعّالة تعكس مشاعر متداخلة وتفرض سيناريو مثيرًا يترك أثرًا عميقًا في الذاكرة الثقافية.

الإقناع هو عملية فكرية ونفسية تهدف إلى تغيير معتقدات أو سلوكيات الأفراد من خلال تقديم الحجج والدلائل المقنعة. يعتبر الإقناع أحد الظواهر الاجتماعية الأساسية، حيث يجسد التفاعل بين متلقٍ يحاول التأثير عليه، ومرسل يسعى إلى بلورة أفكاره بأسلوب جذاب ومؤثر. يتمحور الإقناع حول مجموعة من الاستراتيجيات والمبادئ التي تساهم في تشكيل قناعات الأفراد، فضلاً عن كونه أداة هامة في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية.

إن فعالية الإقناع تعتمد على عدة عناصر رئيسية، منها المسألة التي يتم تناولها، والجمهور المستهدف، وأسلوب التواصل المتبع. يجب أن تكون الحجج المقدمة مبنية على معلومات دقيقة وقابلة للتحقق، مما يزيد من مصداقية المتحدث ويعزز القدرة على التأثير. كذلك، تلعب العواطف دورًا ملحوظًا في عملية الإقناع، حيث أن التفاعل العاطفي يعزز الاستجابة النفسية للفرد، مما يجعل رسائل الإقناع أكثر فعالية. وفي سياق أدب واقعة الطف، تتجلّى قدرة الحجاج على استخدام الإقناع كأداة استراتيجية في سياقات مختلفة، مما يعكس عمق النظر في النفس الإنسانية وقوة الكلمات.

تُظهر دراسة الإقناع في نصوص أدب واقعة الطف كيف يمكن أن تُستخدم اللغة لنقل الأفكار، وتشكيل الهويات، والإقناع بمواقف معينة. في هذا السياق، يجب النظر إلى القدرة على الإقناع ليس فقط باعتبارها وسيلة تعبيرية، بل كأداة تحليلية تكشف عن الديناميكيات النفسية والاجتماعية للأشخاص والجماعات. يرتبط مفهوم الإقناع أيضاً بالنظرية الاجتماعية التي تلقي الضوء على كيفية تأثير التأطير اللغوي والسردي في تشكيل قناعات الأفراد، مما يعكس أهمية الأبعاد الإبداعية والمعرفية في عملية الإقناع.

تشكل أنماط الإقناع واحدة من العناصر الأساسية في فهم كيفية تأثير الحجاج في الخطاب الأدبي، سيما في سياقات مثل واقعة الطف. يمكن تصنيف أنواع الإقناع إلى عدة فئات رئيسية تعتمد على الأساليب المستخدمة لتحقيق التأثير المطلوب على المتلقي. أولاً، يمكن أن نميز بين الإقناع العاطفي والإقناع العقلاني. يُعَدّ الإقناع العاطفي استراتيجية فعّالة تستند إلى إثارة المشاعر، مما يؤدي إلى تفاعل عاطفي قوي مع النص. يعتمد هذا النوع على صور بيانية وأوصاف مؤثرة، يمكن أن تُستعمل لتصوير مأساة الأحداث، مما يحفز التعاطف لدى المستمع أو القارئ.

ثانياً، هناك الإقناع القائم على الحجة المنطقية، حيث يعتمد المتحدث أو الكاتب على تقديم أدلة واضحة وقوية تدحض الشكوك وتُقوّي الموقف المطروح. يتطلب هذا النوع من الإقناع توافر معلومات موثوقة ومصدر بيانات تدعم الحجج، بحيث تكون مبنية على منطق سليم. يُستخدم التحليل المنطقي لأهمية المعطيات في بلورة موقف معين أو الدفاع عنه في أدب واقعة الطف.

ثالثاً، يأتي الإقناع الاجتماعي، الذي يستمد قوته من التأثيرات الاجتماعية والثقافية. يشمل هذا النوع من الإقناع التوجهات والمعتقدات الجماعية التي قد تؤثر على كيفية تلقي الأفراد للرسائل المطروحة. في الحالة العراقية، وعبر النصوص الأدبية المتعلقة بواقعة الطف، يعكس هذا الإقناع السياقات الاجتماعية والدينية ويؤثر في تشكيل الآراء العامة، مما يظهر كيفية تأثير القيم والأعراف الثقافية على العمل الأدبي.

تعمل هذه الأنواع من الإقناع معاً، مستفيدة من التكامل بينها لتعزيز التأثير العام، حيث يمكن أن تتداخل العواطف مع الحجة المنطقية وتضفي الأبعاد الاجتماعية مزيداً من العمق على الرسالة. إذ نجد في الحجاج المرتبط بواقعة الطف أنه من خلال المزج بين هذه الأنماط يمكن استنهاض الفهم السياسي والاجتماعي، مما يُعَدّ دليلاً على فعالية الكتابة الأدبية في إحداث تغيير فكري وموقف يجسد التحديات والصراعات.

إن لقضية الأمام الحسين (ع) أثرها الكبير على نفوس الإنسانية جمعاء فهي لا تقتصر على الدور الروحي الذي تعنى به هذه القضية بل لما لها من أهداف سامية تهدف إلى الحفاظ على كرامة الإنسان ورفع مستواه بعده مكرم من قِبل الله سبحانه كما في قوله تعالى : "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ" فهذا السجود للمخلوق المكرم فالله تبارك وتعالى أمر بالسجود سجود تكريم وليس عبادة وما هذا إلا سجود تكريم تقديرا للمهام التي تقع على عاتقه نلحظ بأن هذا الخطاب ظهر لنا بصورة الجمع ففي سياق قص الخبر على النبي محمد (ص) فهو أمر بالسجود لهم وهذا مقام يقتضي تعظيم الآمر وهذا أدعى لتنفيذ أمره سبحانه .

تعد قضية الإمام الحسين (عليه السلام) قضية إلهية انبثقت من الواقع الاجتماعي والسياسي آنذاك ، وهي تمثل البعد القيمي والإنساني الذي مثله الإمام الحسين (ع) في خضم ما يدور حوله ، ومعرفة بما سيحصل في أرض كربلاء نستشف هذا من قوله (ع) "إن كان دين محمد لا يستقيم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني" فما أعظم هذا الاختبار وسط الخيم والنساء؟ وما التصور الذي وقع في ذهنه الشريف وما سيؤول مصير النسوة بعده . فضلاً عن هذا تعامل معها الرسول (ص) والإمام علي (ع) قبل وقوعها بكونها ذات قيمة إنسانية لا مثيل لها ، وتعد عطاءً منفرداً، يعيد للأمة جانبا من رشدها المضاع وتفكيرها المسلوب ، ولذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) يخاطبه بقوله : "مرحبا بك يا ابا عبد الله يا زين السموات والأرضين"[1]

ومما لا شك فيه ان واقعة الطف مخطط لها من قبل الله سبحانه كي تكون حاضرة عبر كل زمان ومكان ، لهذا نجد

[1] - عيون أخبار الرضا ، الشيخ الصدوق -381 ، تعليق وتقديم الشيخ حسين الأعلمي ، جذ ، 1404 هـ ، 1984 م : ص 62 .

وقعها في أرواح المؤمنين والمحبين ، وأثرها الوجداني الفعّال ، وإننا لا ننكر أن هنالك الكثير من الحروب التي شهدها العالم ، وما وقع فيها من ظلم متمثل في القتل والسبي ... ، قبل كربلاء وبعدها ، ولنا الكثير من الشواهد على مرّ التاريخ وما زال وفي كل مكان . ولكن واقعة كربلاء لها ميزتها الخاصة لم تكن هذه الخصائص حاضرة في معارك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا في المعارك الثلاثة التي خاضاها الإمام علي (عليه السلام) والتي فرضت على هذا الواقعة أن تثبت روحيتها على مر السنين ، ومن هذه الخصائص : تمثلت بحضور الإمام الحسين (عليه السلام) عند كل شهيد يسقط في ارض المعركة وهو القائد الأعلى ليحافظ عليهم ما امكنه دون ان يهانوا بعد استشهادهم ولم يُحرم أي من شهداء الطف من هذه المزية ، وهذا لم يوجد في كلّ الحروب ، إذ الملاحظ فيها تحمل المقاتلين لما يدور حولهم من أبشع طرق السب ، وانقلاب الجميع عليهم وعلمهم باستشهادهم ،وما هذا إلا الدليل القاطع على روحانية ما يشعرون به ، فضلاً عن هذا اصطحابه للنسوة والأطفال ويقينه بما سيؤول إليه مصيرهم بعده . ذلك من أشترى آخرته نابذاً كل مظاهر الدنيا وزخارفها وقد ورد في حديث رسول الله (ص) قوله :"إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء ، قالوا يا رسول الله : ومن الغرباء ؟ قال الذين يصلحون إذا فسد الناس"[2] "هي غربة اتباع الله واتباع سنته بين الخلق"[(3)]

وللشعر ميزة خاصة في التعبير عمّا يمر به المجتمع ، فهو لسان حاله يترجم من خلاله جميع حالاته الاجتماعية والسياسية والدينية ، ليكون مرآة صادقة عنه ، وان جُل ما يطرقه الشعراء من قضايا تصب في صميم ذلك المجتمع ، محاولاً تقصي الحقائق واستنتاجها وخير مثال على ذلك مسرحية الشاعر محمد علي الخفاجي)

التي جسدت لنا الصراع الداخلي في ذات الحسين (عليه السلام) تجاه الظلم الذي حل بالمجتمع رغبة منه في الحفاظ على كرامة الإنسان ، وهوية العقيدة الدينية ، ونبذ كل عناصر الظلم وما الصراع الداخلي إلا "الصراع الأول الذي خلق لنا كل الصراعات الموالية لهذا نقول أن الصراع الداخل هو أساس كل صراع خارجي"[(4)] .

ثانية يجيء الحسين :

"يا ابن أبي يا مولاي ..... يا ركن البيت الدافئ

حين يخض الأيتامَ البردُ

يا فرح المحزون و يا زاد الوحشة

أين تسافر

والدنيا تفتر على قرن خيانة

إذ ينزع قرطيها الأقوى ولئن سافرت

---

[2] - النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، المكتبة العلمية ، ط1 ، 1979، م / ج 1 ، ص 348 .

[3] - مدارج السالكين ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية -751 ، هـ ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت د ،ت ، د .ط ، ج3 ، ص 195 .

[4] - الصورة والبناء الشعري ، د .محمد حسين عبد الله ، ، د .ط ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، مصر ، 1981 م ، ص 33 .

يستدرك :-

من للعدل إمام غيرك ؟

العالم ملتاثٌ بالأدران

والزمن الأعمى يخبط مبصره بعصاه

إذ تضرب قبل العجز الأعناق (تأخذه نوبة سعال)

الحسين (مهوناً عليه) : حسبي ذلك يا بن أبي حسبي ذلك

(يطرق قليلاً ثم يواصل) : ما كان الكون يؤاخي طرف التغيير

لولا الاستشهاد

ولولا أن يتعمد هذا العالم بالدم

ولولا أن يأكل جوعان لحم ذراعه

وإمامٌ يسمع بالظلم

ويرضى أن يغمد سيفه لكأني يغمده في أعناق المظلومين

لا ترجح كفة ميزان العدل

إلا بالقتل ..... قتلي

يا بن أبي العالم ملتاث بالأدران

وأنا ماض لأطهره بدمي

ولقتلي .... وأنا اختار"[5]

فمسرحية الشاعر تخبرنا بما يدور بمخيلته من مشاهد تخييلية تتمحور حول تلك المأساة التي تعرض لها الحسين (ع) من خلال الأساليب المعتمدة في صياغة المسرحية إذ يبتدأ بتكرار ياء النداء لما فيها من دلالة معنوية يعمد على تقويتها بكلمة (مولاي) لتعظيم شأن الإمام (ع) معززاً تلك الدلالة بقوله "يا ركن البيت الدافئ" ليجتمع المعنى بذكر الأيتام "حين يخض الأيتام البرد" ليبرز لنا ذلك النبل العظيم كما عهدناه بالإمام علي (ع) ليستدرك ذلك المشهد الحواري بأسلوب استفهامي (من للعدل إمام غيرك) فالخطاب هنا ذو طبيعة حجاجية ؛ لأنه يريد بها تغيير أمر ذهني معنوي يترتب على أساسه تغيير أمر ظاهر مادي ، وهذا خطاب يهدف من خلاله إلى تغيير ما هو قائم ، فنرى اجتماع الأساليب الدلالية والتركيبية فيضفي على النص أبعاداً حجاجية ، "وهذه آلية من آليات الحجاج في فن الإقناع التي تستعمل في صفة الأشياء واكتشاف حقائقها"[6] ،وبهذا يستطيع التأثير في متلقيه حجاجياً وعقلياً مستنداً إلى أحداث واقعية ؛ نظراً لشيوع الظلم عند بني أمية المتمثل بالعبودية التي اتبعوها بالتعامل مع الناس وانقسام طبقات المجتمع وكان العامل الاجتماعي والسياسي أثره الهام في التأثير على المجتمع آنذاك مما يعطينا تصور بهدف الثورة التي قام بها الإمام (ع) ، مع الاستعانة بالنداء (يا فرح المحزون) (يا زاد الوحشة) فيراه ذلك الفرح لمن همته الدنيا ثم زاداً للوحشة ليتبعه

[5] - ثانية يجيء الحسين ومسرحيات أخرى ، محمد علي الخفاجي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط2 ، 2011 م .

[6] - في بلاغة الخطاب الإقناعي ، د . محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، ط2 ، 2002م ، ص : 60 .

حرف الاستفهام مع استعارة القرن للدنيا وما ذلك القرن إلا خيانة ليعطي لنا صورة للواقع المعاش ، "الصورة ليست أداة لتجسيد شعور أو فكر سابق عليها ، لا بل هي الشعور والفكر ذاته"[7] مع تقديم صورة ذهنية (إذ ينزع قرطيها الاقوى) قد يكون استذكاراً لما حصل لأحدى بنات الإمام (ع) عند الواقعة عندما عمد أحدهم إلى سحب القرط بقوة مما قطع أذنها الشريفة حسب ما ذكرته الروايات . ثم يحاول الشاعر في مسرحيته أن يعطي للصورة للواقع آنذاك عن طريق ذكر العدالة ليرى العالم ملتاث بالأدران مع استعارة صفة العمى للزمن مع نظرة لتلك العصى بدل عونها نرى الزمن يخبط مبصره بها ليكون مردوداً سلبياً لضحالة ذلك الزمن وعدم اتصافه بالحق ، من قبيل أنه يرى سيادة من يتصفون بالظلم والجشع ، ثم يواصل الشاعر قصيدته ليبين موقف الأمام (ع) وعلمه باستشهاده "فمثل الامام الحسين عليه السلام مثالا لشخصية القوي الشجاع المنتفض المؤمن بتغير الواقع المتردي ،مع"[8] عدم امكانية التغيير إلا بمقتل الإمام وعلمه بما سيحصل ليؤاخي الكون طرف تغييره ، فهنا يعمل النص المسرحي على اشتغال العناصر الاخرى في بنية المسرحية ، فهناك عدة تأويلات لعلاقة الشخصية بالأحداث، فيجب ان تتشكل شخصية البطل على هدف سامٍ و وعي مبصر ازاء الظروف التي تحيط بشخصية البطل نفسها، فكلاهما لا يتجسد الا في خضم الصراعات ، فتقف شخصية البطل بمواجهة القوى المعارضة لها[9] ، مستعيناً بـ (لولا) بأسلوبه الحواري مع الإمام (ع) ليتشكل لنا الجواب مصوراً فيها حالة الجوع لولا أن يأكل جوعان لحم ذراعه وآخر يغمد سيفه ليستمر الباطل فحال لسان الإمام (ع) يقول أن ذلك الصمت وغمد السيف وكأنه يرسخه في أعناق المظلومين كناية منه على الصمت القاتل الذي آل إليه المجتمع لقد عمد الشاعر إلى ايجاد صلة بين النص المسرحي ومتلقيه تكون اكثر حيوية من ذي قبل،.....فكان ان عمد الى سحب المتلقي للتفكير بمشكلة تطرحها المسرحية ويكون له نصيب في المساهمة بحلها، مما يتطلب منه البقاء يقظا على الدوام[10] و اكثر "مسرحية تجلى فيها ذلك المسعى هي مسرحية ثانية يجيء الحسين"[11] ، فحالة الجوع والفقر وانقسام طبقات المجتمع وسيادة الظلم ما هي إلا دليل يتكرر عبر كل زمان ومكان ،وان تلك الكفة التي لا ترجح إلا باستشهاده ليتوصل إلى نتيجة مفادها (العالم ملتاث بالأدران) وقال في هذا السياق أيضاً في قصيدة (الدمعة الخرساء) لبدر شاكر السياب :

"إرمِ السماءَ بنظرةِ استهزاءِ واجعلْ شَرابَكَ من دمِ الأشلاءِ

واسحقْ بظلِّك كلّ عِرضٍ ناصعٍ وأبِحْ لنعلِكَ أعظُمَ الضعفاءِ

واملأ سراجَك إن تقضّى زيتُهُ ممّا تـــدرُّ نواضـــبُ الأثداءِ

---

7 ـ الصورة والبناء الشعري ، د .محمد حسين عبد الله ، ، د .ط ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، مصر ، 1981 م ، ص 33 .

8 ـ فن الخراج المسرحي من الرؤيا إلى التطبيق ، د . أحمد أمل ، مركز دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع ، 2013 ، ص 33.

9 ـ أثر واقعة الطف على المسرح العراقي ، أحمد حيدر العلياوي ، مطبعة السعادة ، العراق ، بغداد ، 2013 م ، ص 60 .

10 ـ ينظر : نظرية الدراما ، سنيثيناايانوثا ، ترجمة نور الدين فارس ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد 2009 ، ص 209 .

11 ـ المسرحية الشعرية في العراق ، عباس عبيد ، رسالة ماجستير ، ص 210 .

واخلعْ عليك كما تشاءُ ذُبالةً هدبَ الرضيعِ وحلمةَ العذراءِ

واسدرْ بغيّك يا يزيدُ فقد ثوى عنك الحسينُ ممزَّقَ الأحشاءِ

والليلُ أظلمُ والقطيعُ كما ترى يرنو إلـــــيك بأعيـــــنٍ بلهـاءِ

أحنى لسوطِك شاحباتِ ظهورِهِ شأنَ الذليلِ ودبَّ في استرخاءِ"[12]

مع تكرار الجملة الفعلية المتمثلة بتكرار فعل الأمر(إرم) (اجعل) (اسحق) (أبح) (املأ) (اخلع) (اسدر) (أحني) (قم) (اسمع) (انظر) فبالصيغة الأمرية نرى الشاعر قد نقل لنا الحالة الانفعالية ، فيعقد حواراً موجهاً ليزيد، يدعمه بمزيد من الكلمات والمعاني لها دلالة على الاستعلاء والاهانة والتحقير ، وهذا يعد حواراً انتقادياً معززاً حواره بمزيد من الأدلة وهذا ما نراه في سياق الحوار الاختلافي الذي يمده الفكر الإنساني "والإقناع يحدث إذا أثبتنا حقيقة بواسطة حجج مقنعة منسبة للحالة المطلوبةوالتي تقوم على الحجج والراهين"[13]، وبهذا تتشكل الصورة الحجاجية في قول الشاعر ، فيطلب منه أن يجعل شرابه من الدم دلالة على انتهاكه لحرمة رسول الله (ص) ووحشية ما قام به ، لذا يكون أعظم الضعفاء وأقلهم منزلة مع تعظيم شأن الإمام الحسين (ع) . ليعقد لنا مقارنة بذلك ، فيصف الفئة الضالة بالقطيع (والليل أظلم والقطيع كما ترى) (يرنو إليك بأعين بلهاء) ذلك الاتباع الباطل الذي مصيره النار .

"مثَّلتُ غدرَك فاقشــعرَّ لهولِهِ قلبي وثارَ وزُلزِلتْ أعضائي

واستقطرتْ عيني الدموعَ ورنقت فيها بقايـا دمعةٍ خرســـاءِ

يطفو ويرسبُ في خيالي دونها ظلٌّ أدقُّ من الجناحِ النائي

حيران في قعر الجحيمِ معلقٌ ما بين ألسنةِ اللظى الحمراءِ

أبصرت ظلّك يا يزيدُ يرجه موجُ اللهيبِ وعاصفُ الأنواءِ

رأسٌ تكلَّلَ بالخنا واعتاضَ عن ذاك النضار بحـــــيةٍ رقطاءِ

ويدانِ موثقتانِ بالسوطِ الذي قد كان يعبثُ أمسِ بالأحياءِ

قمْ فاسمعِ اسمَك وهو يغدو سبةً وانظر لمجدِك وهو محضُ هباءِ

---

[12] ـ أدب الطف وشعراء الحسين ، شبر جواد ، دار المرتضى ، بيروت / لبنان ، 1409 هـ ، 1988 م ، ج 10 / ص : 210 .

[13] ـ في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص : 60 .

وانظر إلى الأجيالِ يأخذُ مقبلٌ عن ذاهبٍ ذكرى أبي الشهداءِ"[14]

فيقدم الشاعر صورة استدلالية إذ إن الفعالية الحجاجية صفة لكل خطاب استدلالي ذو طبيعة حوارية فمعجم الشاعر يتشكل من الحوار والجدال القائم على أسس واضحة للعيان بمشاهد حوارية صريحة سلكت طريق الحق ضد الباطل ، وهو طريقة حجاجية تتمثل بالتصدي إلى المحاوَر بهدف تحقيره بذكر ما قام به من أفعل مشينة بحق آل البيت، ويستمر الشاعر في حجاجه المتعلق بيزيد فينقل لنا الشاعر تلك الصورة بقوله (مثلت غدرك فاقشعر له) (قلبي وثار وزلزلت أعضائي) فلعظم الشعور الذي انتاب الشاعر فيصفه بالزلزلة من حيث قوة الهول تلك الدمعة الخرساء التي آلت إلى الصمت . ليصل الشاعر بأبياته إلى ذكر لهيب النار الذي سيحاط بها يزيد نتيجة ما اقترفته يداه ، مع تذكر خلود الأمام الحسين (ع) عبر الأجيال .

"كالمشعلِ الوهّاج إلا أنها نور الإلهِ يجلُّ عن إطفاءِ

عصفتْ بي الذكرى فألقتْ ظلّها في ناظريَّ كواكبُ الصحراءِ

مبهورةَ الأضواءِ يغشي ومضُها أشباحَ ركبٍ لجَّ في الإسراءِ

أضفى عليه الليلُ ستراً حيكَ من عُرفِ الجِنانِ ومن ظلالِ (حراء)

أسرى ونام فليس إلا همسةٌ باسم الحسينِ وجهشةُ استبكاءِ

تلك ابنةُ الزهراء ولهى راعَها حلم ألّمَّ بها معَ الظلماءِ

تُنبي أخاها وهي تُخفي وجهَها ذعراً وتلوي الجيدَ من إعياءِ"[15]

مع عظم الصفات التي قدمها الشاعر في الوصف للإمام الحسين (ع) مع جمالية ما قدمه الشاعر فيرى الليل يستر جسده الشريف ، وبماذا يستره ؟ بثوب حيك من عرف الجنان ومن ظلال حراء استذكاراً بغار حراء والرسول الكريم (ص) ، فبهذا الذكر والحجاج فنجد عرض المخاطِبُ مضمون شعره معززاً ذلك بذكر ما في نفوسهم من حب لرسولهم الكريم (ص) بغية إقناع المتلقي وهذه كلها تعد أدوات إقناعية استدلالية وبرهانية قائمة على المنطق العقلي من أجل التجاوب وتقبل الحجة . مع ذكر حال زينب الكبرى (ع) وما حل بها في واقعة الطف . وقال فيها أيضاً :

"عن ذلك السهلِ الملبَّدِ يرتمي في الأُفقِ مثل الغيمةِ السوداءِ

[14] - أدب الطف أو شعراء الحسين : 210 .

[15] - المصدر نفسه : 211 .

يكتضّ بالأشباح ظمأى حشرجت ثم اشرأبَّتْ في انتظارِ الماءِ

مفغورةَ الأفواه إلا جثة من غير رأسٍ لُطِّختْ بدماءِ

زحفت إلى ماءٍ تراءى ثم لم تبلغْه وانكفأتْ على الحصباءِ

غير الحسين تصدُّه عمّا انتوى رؤيا فكفي يا ابنةَ الزهراءِ"[16]

ففي هذا الصورة الشعرية المستمدة من واقع حقيقي شهدته الواقعة تتداخل مجموعة من صور العذاب الذي اقترفه الطاغية يزيد بحق آل بيت الرسول (ص) ، فنجد التعبير بالصور وتداعي المعاني المؤثرة ، وإن هذه الأدوات الإقناعية في الخطاب الحجاجي القائمة على الأساليب الأدبية واللسانية تهدف إلى تحقيق التأثير والإقناع والتعبير عن المشاعر والانفعالات ، مع الإشارة إلى فاعلية ذكر الشخصيات المؤثرة كشخصية الإمام الحسين (ع) والوقائع التاريخية التي تحقق الاتصال وتكون مؤثرة في نفوس المتلقين ، ثم ينتهي بمخاطبة السيدة زينب (ع) فيستوحي من موقفها ليصور لنا مشاهد المأساة في واقعة الطف .

"من للضعافِ إذا استفاقوا والتظَتْ عينا يزيدَ سوى فتى الهيجاء

بأبي عطاشى لاغبين ورضعا صفر الشفاء خمائص الأحشاء

أيدٍ تُمدُّ إلى السماءِ وأعينٌ ترنوا إلى الماءِ القريبِ النائي

عزَّ الحسينُ وجلَّ عن أن يشتري جمَّ الخطايا طائشَ الأهواءِ

ألا يموت ولا يوالي مارقاً ري الغليل بخطةٍ نكراءِ

فليصرعوه كما أرادوا إنّما ما ذنبُ أطفالٍ وذنبُ نساءِ"[17]

ففي هذه اللوحة الشعرية يستدعي الشاعر الزمن ، من خلال ذكر المواقف التي حدثت في الواقعة ، مما يعيننا على فهم قصدية الشاعر مع حجاجية القصيدة التي يريد الشاعر بها التأثير وإدراك حقيقة ما وقع آنذاك ، لذا جاءت هيمنة الجمل الفعلية الاخبارية تعبيراً منه على ما حدث وبما تضفيه من الحركة والتغيير ولوظيفة إقناعية حجاجية يعرض فيها الشاعر ما حدث آنذاك من انتهاك لحرمة رسول الله (ص) فأورد لنا ما حصل من أحداث "وكان للأدوات الحجاجية والإستدلالية والمنطقية تأثيرها في الآخر ، وإقناعه ذهنياً ووجدانياً ، وهذا الأمر يتم عبر مجموعة من الوسائل الأدائية ، فإما أن يتحقق عبر الكلام والحجج والأدلة ، وأما أن يتحقق عبر مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل العليا"[18] ؛ رغبة

[16] - المصدر نفسه : 211 .
[17] - المصدر نفسه : 211 .
[18] - من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، جميل حمداوي ، أفريقيا الشرق ، 2014 ، ص : 60 .

منه في وضع المتلقي مباشرة في مواجهة الظلم عبر تقرير الحقائق وإثباتها ، مصوراً أسلوب الطاغية يزيد في الوحشية المتبعة تجاه آل بيت الرسول (ص) ، في ذكر العطاشى والجوع وحرمانهم من الماء فهم (بأبي عطاشى لاغبين ورضعا) (صفر الشفاء خمائص الأحشاء) (أيدٍ تُمدُّ إلى السماءِ وأعينٌ) (ترنوا إلى الماءِ القريبِ النائي) فأي وحشية هذه ؟ ، فالأطفال صفر الشفاه خمائص الأحشاء ، فذلك الماء القريب النائي فيما لا يصدقه عقل وكأنما أراد الله للطاغية يزيد أن يلعن عبر كل زمان ومكان ، مع هذا تعد هذه القصيدة انتصاراً للحسين (ع) (عزَّ الحسينُ وجلَّ عن أن يشتري) (جمَّ الخطايا طائشَ الأهواءِ) (ألا يموت ولا يوالي مارقاً) (ري الغليل بخطةٍ نكراءِ) وهذا يذكرنا بقول الإمام الحسين(ع) في الواقعة **قال الإمام الحسين (ع) "أني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما"**[19] ، **وقال (ع) : "هيهات منا الذلة يأبى الله لنا ورسوله والمؤمنون"** [20] **"لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد"**[21] **(13) ، فهذه كفة الحق وتلك كفة الباطل ، فصور لنا الشاعر ثبات المبدأ السليم ذلك من طريق الحق هذا من جانب ، أما الآخر فهو بشاعة وطغيان يزيد الذي أصبح ورقة سوداء في عقل كل من سمع به ، ويستمر الشاعر في سرد لنا لوحته وكأنما الشاهد المبصر لما حصل ، فينقل لنا موقف الطاغية من (عبد الله الرضيع (ع) عندما ألم به العطش فرفعه الإمام طالباً الماء له ، فاصابوه بسهم في نحره ليصور لنا المشهد الطفل بـ الطائر الذي لا حول ولا قوة له فأسلوب الشاعر كشف لنا عن عظم وهول المشهد ومدى تأثر كل من سمعه باختياره للأفعال والجمل الخبرية (اهتز ، اختلج)التي تعطي حجاجية وإقناعاً لما حدث لمشهد نصوره في عقولنا فتقشعر الأبدان لهوله .**

هاجت بي الذكرى عليها ساعة مرّ الزمانُ بها على استحياءِ

خفقت لتكشفَ عن رضيعٍ ناحلٍ ذبُلَتْ مر اشفُهُ ذبولَ حباءِ

ظمآن بين يدي أبيه كأنه فرخُ القطاةِ يدفُّ في النكباءِ

لاح الفراتُ له فأجهشَ باسطاً يمناه نحو اللُّجَّةِ الزرقاءِ

واستشفعَ الأبُ حابسَيهِ على الصدى بالطفلِ يومي باليد البيضاءِ

رجي الرواءَ فكان سهماً حز في نحر الرضيع وضحكةَ استهزاءِ

فاهتزَّ واختَلَجَ اختلاجةَ طائرٍ ظمآنَ رفَّ وماتَ قربَ الماءِ

ونجد الحجاج بالأدوات البلاغية حاضراً من خلال استعمال الشاعر للاستعارات ، (هاجت بي الذكرى) (مرّ الزمانُ بها على استحياءِ) (كأنه فرخُ القطاةِ يدفُّ في النكباءِ) (فاهتزَّ واختَلَجَ اختلاجةَ طائرٍ) (ظمآنَ رفَّ وماتَ قربَ الماءِ

[19] - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، مؤسسة الوفاء للمطبوعات ، بيروت / لبنان ، 1983 م ، ج / 44 ، 45 ، ص : 381 .

[20] - نفس المهموم ، الشيخ عباس القمي ، دار المحجة البيضاء ، دار الرسول الأكرم ، 2014 م ، ص: 131 .

[21] - مقتل الحسين ، الشيخ عبد الرزاق المقرم ، الطبعة الأولى ، 1436 هـ ، 2015 م ، ص : 280 .

) ، فمن شأنها أن تحمل طاقة حجاجية هائلة عن طريق شحنها بالألفاظ غير المتجانسة ولتجاوزها استعمال المعنى المباشر ، وإن الصور البلاغية هي أبلغ من التصريح حجاجاً ، وبما تهدف إليه من إحداث تغيير في الجوانب الفكرية والعاطفية للمتلقي ، ذلك ليضعفوا عزم الإمام (ع) وهيهات أن تتحقق غايتهم . ولنا في هذا مقطعاً من قصيدة (آمنت بالحسين) للشاعر "محمد مهدي الجواهري" :

"فداءً لمثواك من مضجعِ تنور بالأبلج الأروعِ

بأعبق من نفحات الجنان روحاً ومن مسكها أضوعِ

ورعياً ليومك يوم الطفوف وسقياً لأرضك من مصرعِ

وحُزناً عليكَ بحبس النفوس على نهجك النيّر المهيعِ

وصوناً لمجدك من أن يُذال بما أنت تاباه من مُبدعِ

فيا أيها الوترُ في الخالدينَ فذا إلى الآن لم يشفعِ

ويا عظة الطامحين العظامِ للاهين في غدهم قنعِ

تعاليت من مفزع للحتوف وبورك قبرك من مفزعِ

وطفت بقبرك طوف الخيالِ بصومعة الملهم المبدعِ"[22]

إن الأسلوب الحجاجي المتبع في القصيدة يحدد لنا ماهية الشعور الذي ينتاب الشاعر ويلقى صداه أيضاً في نفس القارئ ، بدءاً بقوله فداءً بلهفة وشجن أتاح للقارئ ترسيخ صدق الشعور ، مع ذلك الأسلوب الحواري الخبري الموجه للإمام الحسين (ع) الذي عمل استنباط جميع الصور في أذهاننا ، وإن من مظاهر الحجاج الأخرى التي بدت واضحة في هذه القصيدة هو العطف بـ (الواو) والذي يعد مظهراً من مظاهر العدول بين سائر الجمل في القصيدة وبما تحمله من طاقة حجاجية في تأكيد الحجة وإثباتها .

"تلوذ الدهور فمن سجد على جانبيه وركعِ

شممت ثراك فهب النسيمُ نسيم الكرامة من بلقعِ

وعفرت خدي بحيث استراح خد تفرى ولم يضرعِ

[22] - ديوان الجواهري ، وزارة الإعلام مديرية الثقافة العامة ، جمع وتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي وآخرون ، ج3 ، ص : 231، 237 .

وحيث سنا بك خيل الطغاة جالت عليه ولم يخشعِ

وخلت وقد طارت الذكريات بروحي إلى عالم أرفعِ

وطفت بقبرك طوف الخيالِ بصومعة الملهم المبدعِ"[23]

ونلحظ الحجاج اللغوي حاضراً في القصيدة عن طريق المقابلة بين استعمال الشاعر للجمل الأسمية وبما تحويه من حقائق وثوابت فهذه حجة ، والجمل الفعلية وبما فيها من حركة وتجدد لسائر القصيدة ، فتتشكل النتيجة التي ينتظرها المتلقي والمعهودة في ذهنه ، مما يؤيد دور كل منهما معززاً كل هذا بدور المفردات داخل نصه الشعري ،"في ضوء رؤية حجاجية إقناعية ، إذ إن بيرلمان يرى أن غاية ذلك هي كشف الزيف والوهم والدفاع عن الحقيقة الصادقة"[24] ، وكلها حلقات تتعاضد فيما بينها لتؤسس البناء الحجاجي ومده بطاقة حجاجية عالية .

ناهيك عن الوقع الموسيقى الخاص الذي اعطى نغمة متفردة تتجانس فيه الدلالات والتراكيب والمعاني والكلمات ، لأداء غرض التأثير وتحقيق الإقناع ، هيأت للسامع ذلك الانبهار والتأثر بعبق تلك الأساليب المتبعة ، فنجد الكلمات طوع يديه تتدفق بسهولة ويسر ، ساعد على نشوئها عمق الشعور فضلاً عن الجانب الروحي الوجداني بالموضوع الذي يخوض به الشاعر ، فلا نقول أن تلك الجمالية متأتية من الأسلوب الزخرفي اللفظي ولا نعدم فعاليتها بل أن للدلالات الذاتية العميقة أثرها البيّن في النص مدعومة ببوح ملء جوانبه بالحزن والشجن والتأمل ، فنجد هنالك استيعاباً للقضية الحسينية فضلاً عن المعنى كل هذا هيأته السلطة اللغوية التي يمتلكها الشاعر وتفرده في استنباط الدلالات من تلك الألفاظ . إن لترسخ القضية الحسينية في ذهن الشاعر كل له الأثر الكبير في تلك الجمالية ، بحيث نراها لوحة متزينة بالدلالات والصور والايقاع الذي ينماز بموسيقى خاصة أضفت ظلالها على أجواء القصيدة مما انسابت المعاني والدلالات في نفس القارئ بعمق شعوري منفرد. وقال الشاعر نزار قباني :

"سأل المخالف حين أنهكه العجب هل للحسين مع الروافض من نسب

لا ينقضى ذكر الحسين بثغرهم وعلى امتداد الدهر يُوقِدُ كاللَّهب

وكأنَّ لا أكَلَ الزمانُ على دم كدم الحسين بكربلاء ولا شرب

أوَلَمْ يَحِنْ كفُّ البكاء فما عسى يُبدى ويُجدى والحسين قد احتسب

فأجبته ما للحسين وما لكم يا رائدى ندوات آلية الطرب

[23] - المصدر نفسه ص : 231 .

[24] - من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ص : 81 .

إن لم يكن بين الحسين وبيننا نسبٌ فيكفينا الرثاء له نسب

والحر لا ينسى الجميل وردّه ولَإنْ نسى فلقد أساء إلى الأدب

يالائمى حب الحسين أجنني واجتاح أودية الضمائر واشرأب

فلقد تشرَّب فى النخاع ولم يزل سريانه حتى تسلَّط فى الرُكب

تطالعنا القصيدة في بدايتها عن الحوار القائم عن الطقوس التي تقام في ذكر استشهاد الإمام الحسين (ع) ، مع غزارة الأساليب البلاغية المتبعة في توصيل المعنى ، فقد دعمت الاستعارة القوة الحجاجية الإقناعية من خلال توظيف الآليات اللغوية والبلاغية ، مما أدى إلى إبراز قوتها الحجاجية فالاستعارة تعمل على صياغة إمكانات حجاجية لما تملكه من ميزة تأثيرية على المتلقي ، وإن توظيف هذه الاستعارة لا يأتي لهدف الزينة اللغوية بل من أجل الاستمالة والتأثير ،"وليس هنالك أي فرق بين البلاغة والحجاج ما دام هدفهما واحد هو الإقناع والتأثير على حد سواء،...وهذا يعني أن الصور البلاغية والمحسنات البديعية ذات وظيفة حجاجية"[25] "وكأنَّ لا أكَلَ الزمانُ على دم" فذكر الحسين يوقد على امتداد الدهر كاللهب في شدة اشتعاله وتوهجه ، وللبكاء كفاً ، ذلك الحب الذي يتشرب في النخاع ويتسلط الى الركب ، فانصاعت الكلمات طوع الشاعر ومع استعارة صفة الموت للكرامة ، فيراها قد ماتت على أيديهم والدنيا طأطأت لولاتها ، فيعطينا تصوراً عن تلك الحقبة الزمنية في حكم بني أمية ، وتلك الدلالات المعقودة على أساس الحق واليقين مع مشاهد من واقعة الطف مدعومة بمعرفة كلية بما حصل آنذاك ليأتي رد الشاعر على من يسأل عن سبب ذلك .

"من مثله أحيى الكرامة حينما ماتت على أيدى جبابرة العرب

وأفاق دنياً طأطأت لولاتها فرقى لذاك ونال عالية الرتب

وغدى الصمود بإثره متحفزا والذل عن وهج الحياة قد احتجب

أما البكاء فذاك مصدر عزنا وبه نواسيهم ليوم المنقلب

[25] - من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، ص : 80 .

نبكى على الرأس المرتل آية والرمح منبره وذاك هو العجب

نبكى على الثغر المكسر سنه نبكى على الجسد السليب المُنتهب

نبكى على خدر الفواطم حسرة وعلى الشبيبة قطعوا إرباً إرب

دع عنك ذكر الخالدين وغبطهم كي لا تكون لنار بارئهم حطب"

ليختتم الشاعر قصيدته بجواب للسؤال الأول الذي ورد في أول بيت من القصيدة ، ذلك الجواب المستفيض الوافي المعبر عن حالة شعورية ارخت ظلالها على الشاعر وسيطرة عليه ليترجمها بشعره بتكرار الفعل (نبكي خمس مرات) الذي حمل المتلقي إلى الإذعان لعظم الموقف ، ذلك لغاية الإفهام والإقناع واقامة الحجة ، لتؤدي غرضاً حجاجياً لإبراز شدة حضور الغاية المقصودة ، وهو أسلوب من الأساليب القائمة على العرض بالصيغة الحجاجية وبهذا نقول "كثرة إيراد اللفظ والمعنى حول موضوع معين ، وإن تراكمت حوله الدلالات ، وكثيراً ما يصحب هذا التراكم قضية حجاجية أخرى تتوخى في العرض ، وتتحول هذه الإشارات إلى حقائق والأحداث المتعلقة بذلك الموضوع تكييفاً لحالة الحضور الذي نريد أن يتسم بها موضوعنا في ذهن السامعين ، ولإحداث الانفعال أيضاً ، فبقدر ما يكون الموضوع مخصوصاً يكون أبعث على الانفعال "[26] ، ويأتي التكرار للتنبيه أو التهويل ... نظراً لما يتركه من إثر انفعالي في نفس المخاطَب ، فضلاً عن هذا إن هذا التكرار يشكل جواً موسيقياً متناسقاً يثير انفعالا ما في النص ، ذلك المشهد الذي حصل في واقعة الطف ، مع ختام القصيدة بفعل الأمر (دع) بأسلوب تحذيري عارضاً عقوبة من ينكر فضل آل بيت الرسول .

الخاتمة

وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها:

1- إن النتاجات الأدبية تخبرنا بما يدور بمخيلة الشاعر من مشاهد تخييلية تتمحور حول تلك المأساة التي تعرض لها الحسين (ع) من خلال الأساليب المعتمدة في صياغة المسرحية إذ يبتدأ بتكرار ياء النداء لما فيها من دلالة حجاجية معنوية ذات قدرة على الإفهام والتأثير في المتلقي ، فالتركيز على تلك المفردة ودلالتها كان له الوقع المؤثر على المخاطَب إذ يعمد على تقويتها معززاً تلك الدلالة بـ (ياء النداء) ثم يستدرك ذلك المشهد الحواري بأسلوب استفهامي (نظراً لشيوع الظلم عند بني أمية المتمثل بالعبودية التي اتبعوها بالتعامل مع الناس وانقسام طبقات المجتمع وكان العامل الاجتماعي والسياسي أثره الهام في التأثير على المجتمع آنذاك مما يعطينا تصور بهدف الثورة التي قام بها الإمام (ع) .

[26] - ينظر : بلاغة الحجاج في الشعر العربي ، شعر ابن الرومي أنموذجاً ، إبراهيم عبد المنعم إبراهيم ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط1 2007 م ، ص 102 ، 103 .

2- لقد عمد الشعراء إلى تقديم صورة ذهنية لمن حصل في واقعة الطف (إذ ينزع قرطيها الاقوى) تلك الجمل الخبرية التي اعطت حجة دامغة لما حصل آنذاك بأسوب حجاجي قائم على الحقيقة عن طريق عرض الحدث استذكاراً لما حصل لأحدى بنات الإمام الحسين (ع) عندما عمد أحدهم إلى سحب القرط بقوة مما قطع أذنها الشريفة حسب ما ذكرته الروايات فضلاً عن هذا ذكر مشاهد النسوة والأطفال .

3- يقدم الشعراء صورة للواقع يرى العالم ملتاث بالأدران مع استعارة صفة العمى للزمن مع نظراً لضحالة ذلك الزمن وعدم اتصافه بالحق ، من قبيل أنه يرى سيادة من يتصفون بالظلم والجشع .

4- عقد الشعراء حواراً موجهاً ليزيد، يدعمه بمزيد من الكلمات والمعاني لها دلالة على الاهانة والتحقير ، إذ إن الفعالية الحجاجية صفة لكل خطاب استدلالي ذو طبيعة حوارية فمعجم الشاعر يتشكل من الحوار والجدال القائم على أسس واضحة للعيان بمشاهد حوارية صريحة سلكت طريق الحق ضد الباطل ؛ نظراً لانتهاكه لحرمة رسول الله (ص) ووحشية ما قام به ، لذا يكون أعظم الضعفاء وأقلهم منزلة مع تعظيم شأن الإمام الحسين (ع) . ليعقد لنا مقارنة بذلك لعظم ما قام به الإمام الحسين (ع) .

5- كان الوقع الموسيقى الخاص الذي اعطى نغمة متفردة تتجانس فيه الدلالات والتراكيب المعاني والكلمات ، بقصد عقد الأسلوب الحجاجي القائم على التأثير والإقناع هيأت للسامع ذلك الانبهار والتأثر بعبق تلك الأساليب المتبعة ، فنجد الكلمات طوع يدي الشاعر تتدفق بسهولة ويسر ، ساعد على نشوئها عمق الشعور فضلاً عن الجانب الروحي الوجداني بالموضوع الذي يخوض به الشاعر ، فلا نقول أن تلك الجمالية متأتية من الأسلوب الزخرفي اللفظي ولا نعدم فعاليتها أن للدلالات الذاتية العميقة أثرها البيّن في النص مدعومة ببوح ملء جوانبه بالحزن والشجن والتأمل ، فنجد هنالك استيعاباً للقضية الحسينية فضلاً عن المعنى كل هذا هيأته السلطة اللغوية التي يمتلكها الشاعر وتفرده في استنباط الدلالات من تلك الألفاظ .

6- إن لترسخ القضية الحسينية في ذهن الشاعر أدى إلى تنوع الأساليب الحجاجية وما تحمله من إقناع وتأثير للمخاطَب ، كان له النصيب الكبير من التأثير و الجمالية ، بحيث نراها لوحة متزينة بالدلالات والصور والايقاع الذي ينماز بموسيقى خاصة أضفت ظلالها على أجواء القصيدة مما انسابت المعاني والدلالات في نفس القارئ بعمق شعوري منفرد .

7- تطرق الشعراء إلى ذكر الطقوس التي تقام في ذكرى استشهاد الإمام الحسين (ع)، مع غزارة الأساليب البلاغية التي خرجت إلى معان حجاجية غير فهي لم تعد مقتصرة على المعاني الجمالية.

Conclusion

The study reached a number of results, the most important of which are:

1- The literary productions inform us of the poet's imaginary scenes revolving around the

tragedy that Hussein (peace be upon him) was subjected to, through the methods adopted in formulating the play. He begins by repeating the vocative "ya", due to its moral argumentative connotation that has the ability to comprehend and influence the recipient. Focusing on this word and its connotation had a powerful impact on the addressee, as he sought to strengthen it, reinforcing that connotation with the "ya" of the vocative. Then he concludes that dialogue scene with an interrogative style (due to the prevalence of injustice among the Umayyads, represented by the slavery they practiced in dealing with people and the division of social classes). The social and political factors had a significant impact on society at that time, which gives us a sense of the purpose of the revolution that the Imam (peace be upon him) undertook).

2- The poets sought to present a mental image of what happened in the Karbala incident (when he took off her strongest earring), these declarative sentences that It provided a compelling argument for what happened at that time, using a truth-based argumentative style. It presented the event as a reminder of what happened to one of Imam Hussein's (peace be upon him) daughters when someone forcefully pulled out an earring, cutting off her honorable ear, according to the narratives. It also included scenes of women and children.

3- The poets present a picture of reality, depicting the world as tainted by filth, borrowing the term "blindness" for the time, given the shallowness of that era and its lack of truth, such as the rule of those characterized by injustice and greed.

4- The poets engaged in a dialogue directed at Yazid, supporting it with additional words and meanings that convey humiliation and contempt. Argumentative effectiveness is a characteristic of every argumentative discourse of a dialogical nature. The poet's lexicon is formed from dialogue and debate based on clear foundations, with explicit dialogue scenes that take the path of truth against falsehood, given his violation of the sanctity of the Messenger of God (peace be upon him) and the brutality of his actions. Therefore, he is the greatest of the weak and the lowest in status, while magnifying the status of Imam Hussein (peace be upon him). We can compare this to the greatness of what Imam Hussein (peace be upon him) accomplished.

5- The special musical effect created a unique tone in which connotations, meanings, and words harmonized, with the intent of establishing an argumentative style based on influence and persuasion. This created a sense of awe and fascination for the listener, influenced by the fragrance of these techniques. We find the words at the poet's disposal, flowing with ease and simplicity, aided by the depth of feeling, as well as the spiritual and emotional aspect of the subject the poet is addressing. We do not say that this beauty stems from a decorative verbal style, nor do we deny its effectiveness. The profound subjective connotations have a clear impact on the text, supported by a revelation that fills its aspects with sadness, longing, and contemplation. We find a comprehension of the Husseini cause, as well as the meaning. All of this was facilitated by the poet's linguistic authority and his unique ability to derive connotations from these words.

6- The entrenchment of the Husseini cause in the poet's mind led to a variety of argumentative styles and the persuasiveness and influence they conveyed to the addressee, which had a significant impact. Impact and aesthetics, such that we see it as a painting adorned with connotations, images, and rhythm characterized by a special musicality that casts its shadows over the atmosphere of the poem, allowing the meanings and connotations to flow into the reader's soul with a unique emotional depth.

7- The poets touched upon the rituals performed in commemoration of the martyrdom of Imam Hussein (peace be upon him), with an abundance of rhetorical styles that emerged with different argumentative meanings, no longer limited to aesthetic meanings.

المصادر والمراجع

- أدب الطف أو شعراء الحسين ، جواد شبر ، دار المرتضى بيروت / لبنان ، ج 10/ ، 1409 ، 1988 م .
- أثر واقعة الطف على المسرح العراقي ، أحمد حيدر العلياوي ، مطبعة السعادة ، العراق ، بغداد ، 2013 ، ص 60 .
- بحار الأنوار ، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، مؤسسة الوفاء للمطبوعات ، بيروت لبنان ، 1983 ، ج / 44 ، 45 ص : 381 .
- ثانية يجيء الحسين ، محمد علي الخفاجي ، دار الشون الثقافية العامة ، ، بغداد ، ط2 ، 2001 م .
- ديوان الجواهري ، محمد مهدي الجواهري ، وزارة الإعلام مديرية الثقافة العامة ، جمع وتحقيق إبراهيم السامرائي وآخرون ، ج1 / 1973م ،1975

- الصورة والبناء الشعري ، د . محمد حسين عبد الله ، د . ط ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، مصر ، 1981م ، ص33 .

- عيون أخبار الرضا ، الشيخ الصدوق -381 ، تعليق وتقديم الشيخ حسين الأعلمي ، ج1 ، 1404 هـ ، 1984 م / ص62 .

- فن الاخراج المسرحي من الرؤيا إلى التطبيق ،د . أحمد أمل ، مركز دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع ، 2013 ، ص 23 .

- في بلاغة الخطاب الإقناعي، د . محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، ط2 ، 2022 م .

- المسرحية الشعرية في العراق ، عباس عبيد ، رسالة ماجستير ، ص 210 .

- مدارج السالكين ،أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية – 751 هـ ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت د . ت ، د . ط ، ج3 / ص195 .

- مقتل الحسين ، الشيخ عبد الرزاق المقرم ، الطبعة الأولى 1436 هـ ، 2015 م ، ص : 280 .

- من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، جميل حمداوي ، ، أفريقيا الشرق ، ص : 2014 م .

- نظرية الدراما ، سنيثينايانوثا ، ترجمة نور الدين فارس ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2009 ، ص 209 .

- نفس المهموم ، الشيخ عباس القمي ، دار المحجة البيضاء ، دار الرسول الأكرم ، 2014 م ، ص : 131 .

- النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، المكتبة العلمية ، ط1 ، 1979 م / ج1 ، ص 348 .